

تأليف : آرثر كونان دويل

ذكريات

شارلوك هولمز

لغز بلدة ريغيت The Reigate Puzzle

نشرت للمرة الأولى في مجلة ستراند حزيران 1893



ترجمة : سليمان حسون

رواد المعرفة



مغامرات شارلوك هولمز

- 1- فضيحة في بوهيميا
 - 2- عصبة ذوي الشعر الأحمر
 - 3- الهوية الغامضة
 - 4- لغز وادي بوسكومب
 - 5- بخور البرتقال الخمس
 - 6- الرجل ذو الخفة المقلوبة
 - 7- مغامرة العقيق الأزرق
 - 8- مغامرة الشريط المرقط
 - 9- مغامرة إبهام المهندس
 - 10- مغامرة الليل الأعرب
 - 11- مغامرة تاج الزمرد
 - 12- مغامرة منزل الأشجار
- الحاسية

ذكريات شارلوك هولمز

- 1- ذو العرة الغضبية
- 2- لغز الطرد البريدي
- 3- الوجه الأصفر
- 4- لغز موظف البورصة
- 5- لغز سفينة غلوريا سكوت
- 6- طقس موسعريف
- 7- لغز بلدة ريغيت
- 8- لغز الرجل الأحذب
- 9- المريض المقيم
- 10- المترجم اليوناني
- 11- وثائق المعاهدة البحرية
- 12- المفككة الأخيرة

ISBN 978-9933-14-809-6



9 789933 148096

رواد المعرفة للنشر والتوزيع

دولة الكويت - جوال: 0096590088113

Email: rawadalmarefa@hotmail.com

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الثانية
2015م - 1436هـ

ذكریات شارلوك هولمز
The Reigate Puzzle
لغز بلدة ريغيت

تأليف: آرثر كونان دویل
ترجمة: سليمان حسون

أجيال الغد

سورية - دمشق - هاتف: 2256733 / 2262422 11 00963
ص.ب: 31453 - agyalalgadsyr@gmail.com
أشرف على التنفيذ الفني والطباعي دار الحافظ
daralhafez.net

7

ذكريات شارلوك هولمز

The Reigate Puzzle لغز بلدة ريغيت

تأليف: آرثر كونان دويل

نشرت للمرة الأولى في مجلة ستراند
حزيران 1893

ترجمة: سليمان حسون

مراجعة: لينا حجازي

مُقدِّمة

تفوّقت شخصية شارلوك هولمز على شهرة مخترعها سير آرثر كونان دويل وتجاوزت شهرتها ليس فقط لندن والجزيرة البريطانية، بل بلغت أقاصي العالم مع ترجمة أعمال ومغامرات هولمز إلى كل لغات العالم تقريباً. فلم يعد أحد من الشُّبان أو الشَّابات إلا ويعرف من هو ذلك المحقق اللامع الذكاء الذي يعير انتباهاً إلى أدق التفاصيل عندما يضع قضية ما تحت مجهر فحصه الدقيق. ومن منا لا يذكر براعة هولمز في فك طلاسم أعقد الألغاز وأشدها غموضاً بطريقة تحليله المنطقية الشَّهيرة. تعتبر شخصية هولمز غير الحقيقية طبعاً واحدة من أكثر الشخصيات تأثيراً في القراء خلال القرن العشرين نظراً لمخاطبتها عناصر أساسية في شخصية أي إنسان لتحفيز قدراته

العقلية، وتفكيره من أجل الوصول إلى حل كل لغز اشتركت فيه. وكأنها (أي شخصية هولمز) كانت تحت القارئ دوماً وتحفزه للوصول إلى الحقيقة، أو حل اللغز المطروح بشكل يجعل القارئ يضطر لاستخدام كل ملكاته الفكرية والعقلية للوصول مع هولمز وواطسون إلى حقيقة الأمر، أو حتى أن يسبقهما في التوصل للحقيقة. الطريف في شخصية هولمز أنها وعلى الرغم من أنها تقدم لنا شخصاً من لندن في نهاية القرن التاسع عشر إلا أنها من خلال طريقة تعاملها مع ما حولها ومن حولها تبدو شخصية أكثر معاصرة وكأن كونان دويل نجح بتحويلها إلى شخصية خارج إطار زمان محدد.

الأهم من شخصية هولمز التي تتسبب كل قصص كونان دويل هي شخصية كاتبها التي تشي بشخص عاش حياته كتجربة عظيمة تمكّن إلى أقصى حد في تصويرها من خلال شخصية هولمز، أحياناً وشخصية د. واطسون بصورة أكبر وأكثر جلاء. كما تمكّن الفنان سيدني باجيت من ابتداء صورة نمطية محدّدة ومشوّقة للسيد هولمز في

أذهاننا، مع مواكبة قصص كونان دويل برسومات جميلة جعلت صورة هولمز المرتدي لقبته المميزة. وجليونه الجميل، صورة لا تمحى من أذهاننا.

آرثر كونان دويل

مؤلف شخصية «شارلوك هولمز»

ولد الطبيب والروائي البريطاني السير آرثر كونان دويل في أدنبرة باسكتلندا سنة 1859، واشتهرت الشخصية التي ابتدعها «شارلوك هولمز» لرجل التحري الذكي القادر على فك ألغاز الجرائم، معتمداً على امكاناته الذهنية وقوة الملاحظة، واتباع طريقة الملاحظة والتحليل والاستنتاج بالاعتماد على العلم والمنطق، هذه الشخصية التي أصبحت أكثر شهرة من مبتدعها.

وقد مثلت العديد من رواياته وقصصه، وتحولت إلى أفلام سينمائية وأفلام كارتونية. وقد هجر السير آرثر دويل مهنة الطب بعد أن مارسها ثماني سنوات، واتجه إلى الأدب، واستطاع أن يبدع فيه. بدأ حياته الأدبية سنة 1887 بكتابة القصص القصيرة للمجلات بهدف زيادة دخله. يقول

النَّاقِد كريسٲوفر مورلي عن شارلوك هولمز: لم يحدث أبداً أن نالت شخصية روائية هذا الحظ من القدرة على امتناع القراء والالتصاق بهم بمثل ما نالت شخصية شارلوك هولمز. فالسير آرثر دويل بعد أن مارس مهنة الطَّب في عيادته التي لم يكن يزورها إلا النُّزُر اليسير من المرضى، كان يجد أوقاتاً كبيرة من الفراغ، شغلها بكتابة القصص القصيرة، والتي لم تنل حظاً من النَّجاح في البداية.

إلا أنَّه وبعد نشر روايته الأولى عن شارلوك هولمز سنة 1887 أخذ نجمه في الصَّعود. وبلغت مجموع القصص والروايات التي كتبها السير آرثر دويل وظهرت فيها شخصية شارلوك هولمز حوالي 60 عملاً، جُلَّها من القصص القصيرة، حتَّى أصبح السير آرثر دويل من أكثر كتَّاب القصَّة القصيرة دخلاً في عصره.

ونظراً لجهوده في دعم الحكومة البريطانية في حرب البوير «1899 - 1902» رُقِّيَ إلى رتبة فارس سنة 1902.

شارلوك هولمز

شخصية خيالية لمحقق من أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ابتكرها الكاتب والطبيب الاسكتلندي سير آرثر كونان دويل، ظهرت الشخصية لأول مرة في 1887، واشتهرت الشخصية بمهارتها الشديدة في استخدام المنطق والمراقبة لحل القضايا، وقد يكون هو أشهر محقق خيالي في العالم، وهو بالفعل أحد أكثر الشخصيات الأدبية المعروفة بشكل عالمي.

كتب كونان دويل أربع روايات، وستاً وخمسين قصة قصيرة من بطولة هولمز، رويت جميعها من قبل صديقه الحميم وكاتب سيرته دكتور جون هـ. واطسون، باستثناء قصتين رواهما هولمز بنفسه، واثنين رويتا بضمير الغائب.

وصف شارلوك هولمز نفسه بأنه محقق استشاري خبير، يتم استدعاؤه لحل القضايا التي يثبت أنها صعبة الحل جداً على المحققين الرسميين (النمطيين). وتُخبر القصص أنه كان قادراً في العديد من المناسبات على حل القضايا بدون مُغادرة بيته، دون أن تهتم القصص بتقديم الكثير من

هذه القضايا الصَّغيرة، مُرَكِّزَةً على القضايا المشوِّقة التي تتطلَّب منه القيام بتحريك ساقيه فعلاً. يتخصَّص هولمز في حل القضايا الغريبة مستخدماً قواه الاستثنائية في المراقبة والتحليل المنطقي.

يُصوِّر هولمز بشكلٍ دائمٍ في الوسائط الإعلامية المختلفة مرتدياً قبعة صائد الأيائل وعباءته، مُدخناً غليوناً، وممسكاً بعدسةٍ مكبرة. ويوصف هولمز بأنه سيّد إنجليزي من الطُّراز الفيكتوري، طويلٌ ورشيقٌ، له عينان حادّتان دقيقتان، وأنف معقوف. بالرَّغم من قامته النَّحيلة فإنَّ قدراته البدنيَّة عالية. هو ملاكٌ ومبارزٌ ماهرٌ، وعادة ما يتغلَّب على خصومه في المرات القليلة نسبياً التي اضطر فيها للاشتباك جسديّاً. وفي مغامرة إكليل العقيق يقول هولمز أنَّه: (يملك قوة استثنائية في أصابعه). أمَّا في مغامرة المنزل الفارغ فيذكر أنَّه: (يملك القليل من المعرفة حول المصارعة اليابانية). كان يعيش هولمز في لندن شارع بيكر عنوان B 221.

في أوَّل قصصه، دراسة بالقرمزي، قُدِّمت بعض

المعلومات عن خلفية هولمز. قُدم في 4 آذار 1881 على أنه طالب كيمياء مستقل، له مجموعة واسعة من الاهتمامات الجانبية، وتقريباً؛ فإن كل هذه الاهتمامات تصب في مجرى مساعدته ليصبح خارقاً في حل الجرائم. في مغامرة أخرى مبكرة بعنوان مغامرة غلوريا سكوت، تتضح الأسباب التي دعت هولمز إلى العمل كمحقق خاص؛ امتداح والد زميله في الكلية الشديد لمواهبه وقدراته الاستثنائية.

في مغامرة المترجم الإغريقي، يقول هولمز: أن جدته كانت شقيقة الرسّام الفرنسي فيرنو. وفي دراسة بالقرمزي، يضع دكتور واطسون تقييماً لمهارات شارلوك:

ويعتبر شارلوك هولمز أيضاً مُحلِّل شفرات كفاء، ويقول لواطسون: أنا متآلف مع كل أشكال الكتابة السريّة بشكل جيد، وأنا نفسي مؤلف كتاب ثانوي حول الموضوع، حللت فيه مائة وستين شفرة منفصلة. حُلّت إحدى الشّفرات في مغامرة الرّجال الرّاقصين، التي استخدمت سلسلة من الأشكال الأوليّة.

كما أظهر هولمز نفسه كأستاذ في التّنكر بعد أن تنكر في

أشكال مختلفة خلال مغامرات: بحار (علامة الأربعة) وسائس خيل، ورجل دين (فضيحة في بوهيميا)، ومدمن أفيون (الرَّجل ذو الشفة المقلوبة)، ومتبطل عادي (مغامرة إكليل العقيق)، وكاهن إيطالي عجوز (مغامرة المشكلة الأخيرة)، وبائع كتب (مغامرة البيت الفارغ)، وعامل تمديدات صحَّية أو سبَّاك (مغامرة تشارلز أغسطس ميلفيرتون)، ورجل محتضر (مغامرة المحقِّق المحتضر)، وأخيراً متسول كلب آل باسكرفيل.

ويمكن اعتبار هولمز رائداً في علم الأدلَّة الجنائيَّة الحديث لاستخدامه هذا العلم في قضايا، مثل: تعرفه على الفروقات بين أنواع الآلات الكاتبة لفضح الاحتيال (قضية هوية). وتوصله إلى جريمة باكتشافه قطعتين من البقايا البشرية (مغامرة صندوق الورق). وملاحظته لبقايا بارود على الضحية (مغامرة ميدان ريغاتي). وملاحظته نوع الرِّصاص المستخدم في جريمتين (مغامرة البيت الفارغ). واستخدامه بصمة الأصابع لتحرير رجل بريء (مغامرة باني نوروود).

عاش شارلوك هولمز تاريخياً، في B 221 شارع بيكر، لندن منذ 1881، حيث أمضى العديد من سنواته المهنية مع صديقه الحميم دكتور واطسون، الذي تشارك الشقة معه قبل زواج واطسون في 1890. وكانت تشرف على صيانة الشقة والاهتمام بها السيدة مارثا هدرسون، مالكة البناية. وقد وصف دويل الحي الذي يعيشان فيه بدقة، حتى أن الكثيرين من القراء زاروا شارع بيكر للبحث عن العنوان الخيالي.

ومن أبرز الشخصيات التي ظهرت في حياة شارلوك هولمز:

د. واطسون

واطسون؛ صديق هولمز الحميم، وكاتب سيرته الذاتية، كما أنه يقوم بتسجيل معظم قضايا هولمز. وفي القصص الأخيرة يتقد هولمز واطسون دائماً لأنه يروي القصص بشكلٍ مثير، مبتعداً عن الطريقة الموضوعية والمفصلة للتقارير التي تركز على ما يُسميه هولمز (العلم المحض). واطسون، بالمقابل، له سمعة مبررة بعض الشيء

كرجل يميل إلى النساء، يتكلّم بحب عن بعض النساء، وفي بعض القصص الطويلة كثيراً ما يركّز على جمال امرأة معيّنة، وفي النهاية فإنّه يتزوّج واحدة بالفعل. ماري مورستان من رواية علامة الأربعة.

جيمس موريارتي «عدو شارلوك هولمز الأزلي»

البروفيسور جيمس موريارتي (نابليون الجريمة)، هو في الأساس معلّم الرياضيات الخصوصي لهولمز، كما أشير لذلك أيضاً في عمل بارينغ-غولد. وهو المشكلة الأساسية في العديد من قضايا شارلوك هولمز.

سقط مع هولمز أثناء صراعهما في شلالات راينباخ. ونوى كونان دويل أن تكون (المشكلة النهائية) التي حدث فيها ذلك، هي آخر قصة يكتبها عن هولمز، لكنّ الرسائل الكثيرة التي استلمها مطالبةً بعودة هولمز أقنعتة بالاستمرار في كتابة القصص. وفي (مغامرة المنزل الفارغ) أخبر كونان دويل أنّ موريارتي وحده من سقط في الشلال، وأنّ هولمز جعل العالم يعتقد بأنّه مات أيضاً ليراوغ أتباع موريارتي.

آيرين أدلر

المرأة الوحيدة التي أبدى هولمز اهتماماً بها. وتبعاً لما قاله واطسون، فإنَّ هولمز كان يشير إليها دائماً باعتبارها (المرأة). بالرَّغم من أنَّ هولمز نفسه لم يستخدم هذا المصطلح، على أنَّه ذكر اسمها الفعلي عدَّة مرات في قضايا أخرى. وهي أيضاً واحدة من النِّساء القلائل اللاتي ذُكرن في قصص شارلوك هولمز، بالرَّغم من أنَّها ظهرت فقط في قصة فضيحة في بوهيميا، إلا أنَّها غالباً ما اعتبرت المرأة الوحيدة التي كسرت تحفُّظ هولمز. وهي المرأة الوحيدة التي هزمت هولمز في لغز.

مايكروفت هولمز

الشَّقيق الأكبر لهولمز، الذي يمتلك قوى تحليلية تفوق حتَّى تلك التي يتمتَّع بها شقيقه الأصغر. وبالرَّغم من ذلك فإنَّ مايكروفت غير قادر على أداء عمل تحرٍّ مشابه لعمل شارلوك، لأنَّه لا ينوي بذل أي جهد جسدي ضروري لحل القضايا.

ليس لديه طموح أو طاقة، ولن يتزحزح عن هذا حتى
 ليثبت حلوله الخاصة، ويُفضل أن يُعتبر حله خاطئاً على أن
 يتحمّل عناء إثبات صحة كلامه. كثيراً ما أخذت
 مُعضلاتي إليه، وحصلت منه على شررعات ثبت صحتها
 فيما بعد، غير أنه كان دائماً غير قادر على حل النقاط
 العملية.

لغز بلدة ريغيت

مضى وقتٌ كافٍ قبل أن تتحسنَّ صحة صديقي شارلوك هولمز من التعب الناتج عن المجهود الكبير الذي بذله في ربيع عام 1887، حيث ما زالت قضية الشركة الهولندية الإندونيسية حاضرةً في أذهان الناس. كما كانت تلك المسألة مُرتبطة بأمور اقتصادية وسياسية، بحيث لا تصلح لتكون موضوعاً جيداً لهذه السلسلة من القصص القصيرة رغم أنها أنتجت بشكل غير مباشر مشكلة كبيرة ومعقدة منحت صديقي فرصة إبراز قيمة سلاح جديد من الأسلحة الكثيرة التي يستخدمها لمحاربة الجريمة طوال حياته.

وبالعودة إلى مذكراتي، أذكر كيف أنَّ برقية من مدينة ليون وصلتني في 14 نيسان لتخبرني أنَّ هولمز مريض بشدة

وهو ينزل في فندق دولونغ. وسرعان ما كنت بجانبه خلال أربع وعشرين ساعة، حيث تأكدت براحة إلى أن الأعراض التي يعانيها ليست خطيرة أو تؤدي إلى شيء خطير. لكن بنيته الجسدية القويّة وقواه كانت قد خارت، نتيجة الإجهاد والتعب في تحقيق امتدّ لأكثر من شهرين كان يعمل خلالهما لمدة 15 ساعة يومياً. حتّى أنّه أكّدي أنّه استمرّ بالعمل بدون توقّف لفترة خمسة أيام متتالية. ونتيجة هذا الإجهاد سقط جسده ضحية رغم الانتصار الذي حقّقه.

بعد ثلاثة أيام عدنا إلى منزلنا في شارع بيكر، إلا أنّه كان واضحاً أنّ صديقي يحتاج بعض التّغيير في المكان ليتحسّن وضعه الصّحي بشكل أفضل. وكنت لا أمانع أبداً أن نقضي أسبوعاً في الريف في هذا الجو الرّبيعي.

كان صديقي القديم الكولونيل هايتر -الذي كنتُ أتولّى رعايته طيباً خلال وجودنا مع الجيش البريطاني في أفغانستان- قد اشترى منزلاً بالقرب من بلدة ريغيت، ووجّه لي الدّعوة أكثر من مرّة لزيارته هناك، وأبدى

استعداده لاستضافة هولمز معي في آخر مرة دعاني فيها لزيارته.

احتاج الأمر بعض الدبلوماسية، وحين عرف هولمز بأن الأمر سيكون مقتصرًا على غير العزّاب وأنه سيحظى بحريته الكاملة، وافق على مخطّطي. وهكذا بعد عودتنا من ليون بأسبوع كنا في منزل الكولونيل الذي تجوّل في أرجاء العالم عندما كان عسكرياً في الجيش البريطاني. وسرعان ما وجد الكولونيل أنه يتشارك العديد من الأمور مع هولمز تماماً كما توقعت.

جلسنا ثلاثتنا على مائدة العشاء في ليلة وصولنا. بعد ذلك تمّدّد هولمز على الأريكة، فيما كنتُ أنا وهايتز نفحص مستودع أسلحته الشرقية الصّغير. وفجأة قال: (بالمناسبة سوف آخذ واحداً من هذه الأسلحة إلى الطّابق العلوي تحسباً لأي اعتداءٍ مفاجئ).

فقلت: اعتداء مفاجئ؟!!

- نعم. فقد انتشر الذعر في المنطقة مؤخراً. يوم الاثنين الماضي اقتحم اثنان منزل العجوز أكتون وهو من كبار

هذه المقاطعة. لم يقع ضرر كبير، لكن اللسان ما زالاً طليقین.

قال هولمز وهو ينظر باتجاه الكولونيل: ألم يتم العثور على أي دليل؟

- لا شيء حتّى الآن. لكن المسألة مجرد حادث محلي، لن يُشير أو يستحق اهتمامك يا سيد هولمز بعد إنجارك في تلك القضية العالمية المهمة.

أشاح هولمز بيده متجاهلاً المديح، رغم أنّ ابتسامته أفصحت عن مدى سعادته لسماع ذلك، وقال متسائلاً: هل كان في المنزل ما يدعو للاهتمام؟

لا أعتقد. لقد فتّش اللسان غرفة المكتبة، ولم يحصل سوى على القليل، مقارنةً بالجهد الذي بذلاه. كانت المكتبة مقلوبة رأساً على عقب. لقد وجدتُ الأدراج مفتوحة والأوراق مقلوبة. كان أهم ما نتج عن السرقة اختفاء مجلّد كتب نادر، وشمعدانين ثمينين، وفتّاحة رسائل بمقبض عاجي وبارومتر (مقياس) صغير من خشب البلوط، إضافةً إلى كرة من الخيوط المجدولة.

هتفتُ بدهشة: يا لها من مجموعة أشياء مثيرة للعجب!
 - يبدو أن الرجلين قد أخذوا كل ما استطاعا الحصول عليه.
 فتمتم هولمز وهو ما زال على أريكته: لا بد أن الشرطة
 محلية قد توصلت لاستنتاج ما نتيجة هذا، من الواضح
 ...



لكني رفعتُ يدي بوجهه محذراً وقلت: أنت هنا كي
 تترتاح يا صديقي. أرجو ألا تبأشر العمل على قضية
 جديدة فيما قواك ما زالت خائرة.

هزَّ هولمز كتفيه ونظر إلى الكولونيل نظرة استسلامٍ

مصطنعة. وبعد ذلك تحول الحديث بيننا باتجاه آخر
لنتطرق إلى مواضيع أقل خطورة.

في صباح اليوم التالي ذهبتُ كما توقعت - تحذيراتي
أدراج الرياح، فقد فرضت المشكلة نفسها بطريقة تجعل
من المستحيل تجاهلها، وتحوّلت زيارتنا أو نقاهة هولمز في
الريف إلى ما لم نكن نتوقعه.

كنا على مائدة الإفطار حين جاء كبير الخدم مسرعاً،
وقال لاهثاً ومتخلياً عن اللباقة اللازمة: هل سمعت
الأخبار يا سيدي؟

منزل عائلة كيننغهام يا سيدي!

تجمّدت يد الكولونيل في الهواء وهو يحمل فنجان
القهوة وصاح قائلاً: هل تعرّض للسّرقة؟!

- بل حدثت فيه جريمة قتل!

صُعق الكولونيل وقال: يا إلهي! من الذي قُتل؟ الأب
أم الابن؟

- لا يا سيدي. لقد قُتل سائس الخيل ويليام كيرون.
لقد اخترقت الرصاصة قلبه فمات على الفور.

- ومن الذي قتله؟

- اللص يا سيدي.

لقد قتله ثم ركض مُسرِعاً دون أن يتمكن أحد من إلقاء القبض عليه. كان اللص داخل المخزن حين دخل ويليام فقتله، فيما المسكين يدافع عن ممتلكات سيّده.

- ومتى حدث ذلك؟

- ليلة أمس يا سيدي، حوالي الساعة الحادة عشرة ليلاً.

اعتدل الكولونيل بجلسته واستعاد هدوءه قائلاً: آه. سنذهب للاطمئنان عليهم بعد الإفطار إذن.

ثم أضاف بعد انصراف رئيس الخدم: إنه لأمر سيء هذا الذي حدث. فالعجوز كينغهام من الأشخاص البارزين في المنطقة، وهو رجلٌ محترم جداً. حتماً سيؤثر على سمعته ما حدث لأنّ القتل قضى سنوات كثيرة في خدمته، كما أنّه كان خادماً جيّداً. ومن الواضح أيضاً أنّ من فعل ذلك هم نفس الأوغاد الذين هاجموا منزل أكتون.

فقال هولمز باهتمام واضح: وسرقوا تلك المجموع الغريبة من الأشياء؟
- بالضبط.

- قد ثبت أنَّ الأمر أبسط مما يبدو عليه، لكنَّه حتَّى
مثير للفضول للوهلة الأولى، أليس كذلك؟
فعصابة من اللُّصوص تمارس نشاطها في منطقة ريفية
يكون من المتوقَّع منها أن لا تُهاجم نفس المنطقة مرتين
متتاليتين وفي غضون أيام معدودة.
حين أشرت ليلة أمس إلى وجوب اتِّخاذ احتياطات
أمنية.

أذكر أنَّي اعتقدتُ أنَّ هذا المكان هو أكثر مكان مستبعد
أن يُهاجمه اللُّصوص، أو أن يلفت انتباههم كونهم هاجمو
المنطقة. ما يدل على حاجتي لأتعلَّم المزيد في هذا المضمار.
فقال الكولونيل: ربَّما يكون الفاعل أحد اللُّصوص
المحترفين من أبناء المنطقة. في هذه الحالة من الطَّبعي أن
يهاجم منزل آكتون ومنزل كيننغهام، فهما أكبر منزلين في
المنطقة.

- وهل هما أغنى المنازل أيضاً؟

- حسناً، من المفترض أن يكونا كذلك، لكنهما كانا طرفان في دعوى قضائية استمرت بنهما لعدة أعوام واستنفذت كل مواردتهما تقريباً كما أعتقد. فقد كان العجوز آكتون يدّعي أن له الحق بنصف ممتلكات كيننغهام، وقد عمل محامو الطرفين على الموضوع بمتنهى الجد.

قال هولمز متثائباً: إذا كان الفاعل من المنطقة سوف يتم القبض عليه بسهولة. حسناً يا واطسون، لا أنوي التّدخل في هذه القضية.

فجأة فُتح الباب ودخل رئيس الخدم قائلاً: المفتّش فورستري سيدي.

دخل المفتّش إلى الغرفة. كان شاباً وجهه مليء بالحماس والذكاء. قال صباح الخير يا كولونيل. أرجو ألا أكون قد أزعجتكم، لكننا سمعنا أن السيد شارلوك هولمز من شارع بيكر موجود في ضيافتك.



أشار الكولونيل بيده إلى صديقي، فتوجّه المفتّش إليه
بالتّحية قائلاً: اعتقدنا أنّه قد يهّمك التّدخل في هذه المسألة
يا سيد هولمز.

فقال هولمز وهو يضحك: إِنَّ الطَّبَّيعة تعمل ضِدَّكَ يا واطسون. لقد كنا نتحدَّث بهذا الأمر مباشرة قبل دخولك أيها المفتش، وربما يمكنك إعطائنا بعض التَّفَاصِيل.

قال هولمز هذا وأسند ظهره على كرسيه بالأسلوب الذي اعتدْتُ أن أراه عليه، فأدرَكْتُ أَنَّ أمر النِّقاهاة قد وُلِّيَ إلى غير رجعة.

قال المفتش: لم نحصل على أي دليل حتَّى الآن في قضية آكتون، أمَّا في القضية الأخيرة فقد وجدنا الكثير من الأدلة التي تساعدنا. أجزم بأنَّ اللُّصوص هم أنفسهم من ارتكب الجريمتين، كما أنَّ الرجل قد شوهد.

- حقاً؟

- نعم يا سيدي، لكنَّه فرَّ بسرعة غزال، بعد أن أَردى المسكين ويليام بطلقة رصاص. لقد رآه السيد كيننغهام من نافذة الممر الخلفي. كان الوقت حينها حوالي السَّاعة الثَّانية عشر إلا ربع وذلك حين انطلق الإنذار. كان السيد كيننغهام قد توجَّه للنَّوم لتوّه، فيما كان آليك ابنه يدخن غليونَه، مرتدياً ثوب النَّوم. كلاهما سمعا ويليام يصرخ

طلباً للنَّجدة. ركض السيد أليك ليستطلع الأمر، ليجد الباب الخلفي للمنزل مفتوحاً، وحين بلغ نهاية الردهة رأى شخصين يتعاركان خارج المنزل، ثمَّ أطلق أحدهما النَّار على الآخر فخرَّ صريعاً. بعد ذلك ركض القاتل عبر الحديقة مبتعداً بعد أن قفز فوق سورها. لقد صادف أن رأى السيد كينغهام الرَّجل الفار، بعد أن قفز عن السور، ووصل إلى الشَّارع الخارجى إلا أنَّ الرجل اختفى بالحال. أمَّا السيد أليك فقد هرع نحو الشَّخص الذي أصيب بإطلاق النار لإسعافه، ما منح القاتل الفرصة للهرب. إنَّنا لا نعرف عنه الآن سوى أنَّه ذكر متوسط الحجم، يرتدي ملابس غامقة. نحن نجري التَّحقيق بهمة ونشاط، وإذا كان المجرم غريباً عن المنطقة سنجده بسرعة.

- ماذا كان ويليام يفعل هناك؟ هل قال شيئاً قبل موته؟

- لم يقل كلمة واحدة حتى. كان يقطن في المنزل الريفى مع أمه. وكونه شخص شديد الإخلاص لسيده، اعتقدنا أنَّه عاد لمنزل سيده للاطمئنان أنَّ كل شيء على ما يرام، لأنَّ

قضية أكتون جعلت الجميع قلقين. لأبْدَ أن السَّارق كان قد دخل المنزل للتو عندما فاجأه ويليام. لقد وجدنا أن الباب الخلفي كان قد تم خلعه للدخول.

- هل قال ويليام شيئاً لأُمّه قبل الخروج والتَّوجه إلى بيت سيده؟

- إنَّها امرأة عجوز وصمّاء. لم نستطع الحصول على أية معلومات منها، كما أن الصّدمة أفقدت المسكينة صوابها. كما أدركتُ أنَّها بطيئة الفهم. على كل حال هناك أمرٌ مهمٌ جدّاً.

- ثمَّ تناول قطعة صغيرة من ورقة تمّ تمزيقها من مفكرة وفتحها قائلاً: لقد وجدنا هذه الورقة بين أصابع القتيل. من الواضح أنَّها قصاصة تمّ تمزيقها من ورقة أكبر. ستُلاحظ أن التَّوقيت المسجَّل على الورقة هو نفس توقيت مقتله. لم نعلم حقيقة هذا الأمر بعد، فربما كانت كامل الورقة مع ويليام وانتزعها منه اللص أو العكس صحيح. وفي الحالتين فقد تمزّقت الورقة ولم يبقَ منها سوى هذه القصاصة.

أخذ هولمز قصاصة الورق ليجد فيها كلمات قليلة مبعثرة على سطورٍ ثلاثة، إلا أنَّ المعنى كان مجهولاً، فقد كانت على الشكل التالي:



وأضاف المفتش: لو افترضنا أنَّ هذا موعداً، يمكننا القول أنَّ ويليام كان متواطئاً مع اللص، وربما قابله هناك أو ساعده على خلع الباب، وبعد ذلك اختلفا حول أمرٍ ما فتعاركا ...

لكنَّ الأمر الذي يجب عدم التَّغاضي عنه أنَّ ويليام كان بالفعل صاحب سمعةٍ ممتازةٍ لأمانته.

عندها قال هولمز وهو يدقُّق في الورقة بتركيزٍ شديد: هذا الخط مثيرٌ للاهتمام إلى أبعد حد...

إنَّ الأمر أكثر تعقيداً مما اعتقدت.

ثمَّ استغرق في تفكير عميق، فيما طبعت ابتسامة وجه المفتش حين رأى تأثير قضيته على المحقِّق اللندني الشهير.

وبعد برهة قال هولمز: إنَّ ملاحظتك الأخيرة عن إمكانية وجود اتفاق بين اللص وويليام افتراض عبقرِيٍّ وغير مُستبعد أبداً. قد تكون هذه الورقة بالتَّالي رسالة مختصرة لترتيب موعد من شخص مع آخر، ولكن هذا الخط يفتح...

وضع هولمز رأسه بين كفيه لبضع دقائق، لأفاجأ بعودة لون الحياة إلى وجهه عندما رفعه ثانيةً بوجهي، وعاد البريق المميز إلى عينيه كما كان وضعه قبل مرضه.

قفز واقفاً بكل طاقته وقال: أريد أن أعاين بسرعة كل تفاصيل هذه القضية.

يوجد فيها شيء يجذبني بقوة، أستمحك عذراً يا كولونيل. سوف أتركك وزميلي واطسون لأذهب بجولة مع المفتش وأتحقِّق من أمرٍ أو اثنين، وسأعود إليكما بعد نصف ساعة.

مضت ساعة ونصف قبل أن يعود المفتش لوحده دون

هولمز وقال: السيد هولمز يتجوّل في الحقل، ويود أن نذهب نحن الأربعة إلى المنزل معاً.

- إلى منزل السيد كيننغهام؟

- أجل يا سيدي.

- لماذا؟

هزّ المفتش كتفيه قائلاً: لا أعرف السبب وراء ذلك يا سيدي. لا أخفيكم سرّاً أظن أن السيد هولمز لم يتجاوز مرضه بعد. إنه يتصرّف بغرابةٍ شديدة، كما أنه منفعلٌ جداً ومتأثر.

فقلت: لا أعتقد أن الأمر مشيراً للقلق. فقد وجدتُ دائماً أن هناك منهجاً معيناً لجنونه.

فهمس المفتش قائلاً: قد قال البعض أن هناك شيئاً غير منطقي في أسلوبه، لكنه يتحرّق شوقاً للبدء بالتحقيق.

إذا كنتم جاهزين من الأفضل أن نخرج إليه حالاً.

وجدنا هولمز يتجوّل بقلق ذهاباً وإياباً، فيما رأسه مطأطئ ويديه في جيوبه وقال عندما رأنا: إن الأمر يزداد

ثارة يا واطسون. إنَّ رحلتك الريفية هذه متميزة، فقد فضيت أنا صباحاً رائعاً.

قال الكولونيل: لقد فهمتُ أنَّك عاينت موقع الجريمة.
- نعم. لقد قمت والمفتش باستطلاع صغيرٍ على موقع الحادث.

- وهل توصلتما إلى شيء؟

- حسناً، لقد لاحظنا بعض الأمور المثيرة للاهتمام.
سأخبرك بما فعلناه فيما نواصل المشي. لقد رأينا أولاً جثة الشخص المسكين. لقد مات فعلياً نتيجة إصابة الرصاصة كما ورد في التقرير.

- وهل كنت تُشكِّك بطريقة وفاته؟

- من الأفضل أن نضع كل الاحتمالات ونتأكَّد منها.
كما أنَّ المعاينة لم تذهب سُدى، فقد قابلنا هناك السيد كيننغهام وابنه، الذي استطاع أن يشير إلى المكان المُحدَّد الذي تمكَّن اللص من الهرب عبره من الحديقة، وهذا الأمر بالتَّحديد يتمتَّع بأهمية كبيرة.

- هذا طبيعي.

- بعد ذلك توجهنا لرؤية والددة المسكين ويليام، لكننا كما توقعت لم نتمكن من الحصول على أي معلومات مفيدة منها. إنَّ العجوز صمًا لا تسمع.

- وإلى ماذا توصلت نتيجة تحقيقاتك؟

- لقد أيقنت أنَّ هذه القضية غريبةٌ جدًّا، وقد تجعل زيارتنا التي سنقوم بها الآن الأمور أقلَّ غموضاً. أظنُّ أننا نَتَّفِقُ أيُّها المفتش على أنَّ قصاصة الورق التي كانت بيد الضَّحية وحاملة توقيت الوفاة، اعتقد أننا نَتَّفِقُ على أهميَّتها الكبيرة.

- لا بدَّ أنَّها تدل على أمرٍ ما يا سيد هولمز.

- إنَّها تشير إلى شيءٍ ما بالفعل. فمن كتبها هو ذات الشَّخص الذي جعل ويليام يخرج من سريره في تلك السَّاعة. لكن أين بقية تلك القصاصة؟

قال المفتش: لقد بحثتُ في المكان بعنايةٍ كبيرةٍ على أمل العثور على بقيَّتها لكن دون فائدة.

- لقد انتزعتُ الورقة من يد القاتل. لماذا قد يحتاجها أي أحد لدرجة نزعها منه؟ ببساطةٍ لأنَّها تُدين ذلك

الشَّخص. وماذا سيفعل بها بعد أخذها؟ على الأرجح سيضعها بجيبه دون أن يُلاحظ أنَّ جزءاً منها بقي في يد القاتل. إذا تمكَّنا من الحصول على هذه الورقة سنكون قد اقتربنا كثيراً من حل اللغز.

- هذا صحيح. لكن كيف لنا أن نصل إلى الورقة بجيب المجرم قبل أن نعرفه؟

- حسناً. هناك نقطة أخرى قد تساعدنا. إنَّ الشَّخص الذي كتب الورقة لم يفعل ذلك لو كان بإمكانه إيصال الرسالة شفويّاً، فمن أحضر الرسالة إذن؟ هل تمَّ إرسالها بالبريد؟

عندها قال المفتش: لقد قمْتُ بالتَّحريات وعرفت أنَّ ويليام تلقَّى رسالة في البريد بعد ظهر يوم أمس، وقد تخلَّص من مغلف الرسالة.

هتف هولمز وهو يربت على كتف المفتش مبدياً إعجابه وقال: ممتاز. لقد قابلتَ عامل البريد إذن؟ إنَّ العمل معك ممتعٌ حقاً. حسناً ها قد وصلنا إلى سور الحديقة. لو أردتَ مرافقتي يا كولونيل، سأريك موقع الجريمة.

سرنا بجوار المنزل الريفي الذي كان القتل يُقيم فيه، ثمَّ صعدنا في طريقٍ محاطٍ على جانبيه بأشجار الصنوبر حتَّى وصلنا إلى منزل مبني حسب طراز الملكة آن القديم الجميل. قادنا هولمز والمفتش في جولةٍ حول المنزل، حتَّى بلغنا البوابة الجانبية، التي تفصلها حديقة ممتدة عن السور الذي يحدُّ الطريق. كان هناك شرطياً يقف عند باب المطبخ، الباب الخلفي للمنزل.

قال هولمز: افتح الباب أيُّها الشرطي. إذن، هذه هي الدُّرجات التي وقف عليها السَّيد كيننغهام الابن، حين رأى الرجلين يتعاركان في نفس المكان الذي نقف نحن فيه الآن. كان السَّيد كيننغهام الأب ينظر من تلك النَّافذة إلى اليسار ورأى القاتل يهرب عن يسار تلك الأشجار. بعد ذلك ركض السيد آليك وانحنى فوق جثة القتيل. إنَّ الأرض صلبة جداً هنا لذلك لم تظهر عليها آثار أقدام لترشدنا.

وفيما كان يشرح لنا تقدُّم رجلان بأنَّجأنا عبر ممر الحديقة من وراء زاوية البيت.



كان أحدهما مُتقدِّماً في السن ذو ملامح حادة وعينين ثاقبتين، فيما الآخر بدا شاباً جذاباً تتناقض تعابير وجهه المشرقة الباسمة وملابسه المزركشة، الأمر الذي جئنا لاستطلاعها. لقد بدا التناقض غريباً وغير مألوف.

قال هولمز: أرى أنك ما زلت تعمل على الأمر، أليس كذلك؟ لقد اعتقدتُ أنكم أيُّها اللندنيون لا تتركبون أي أخطاء. لكن لا يبدو عليك بأنك سريعٌ جداً.

قال هولمز متقبِّلاً الاستخفاف بقدراته بروح رياضية: آه، عليك أن تمنحنا بعض الوقت.

فقال الشاب إليك كيننغهام: أعتقد أنك ستحتاج إليه، إذ لا أرى أي دليل على الإطلاق بين أيديكم.

فأجابه المفتش بسرعة قائلاً: يوجد لدينا دليلٌ واحدٌ فقط. نظنُّ أننا لو تمكَّنا من العثور على... يا إلهي، سيد هولمز ما الأمر؟

ظهر فجأة تعبير خيف على وجه صديقي، وغارت عيناه فيما الألم اعتصر وجهه. ثمَّ سقط على الأرض فيما صدرت عنه صرخةٌ مكتومةٌ، وأصابنا الفزع من هذه

المفاجئة، فقمنا بحمله إلى الدّاخل في غرفة المطبخ، حيث وضعناه على كرسي كبير، وظلّ يتنفس بصعوبة لدقائق معدودة.

أخيراً نهض وملامح الخجل تملأ وجهه، وشرح ما حدث قائلاً: سيخبركم الدكتور واطسون بأنّي في طور النّقاهاة من مرض شديد، لهذا أنا أتعرّض لمثل هذه النّوبة بين الحين والآخر.

فسأله كيننغهام الأب: هل تحتاج أن أوصلك بعربتي إلى المنزل؟

- بما أنّي هنا، أود التّأكّد من نقطةٍ معيّنة، وأتوقّع أن نتمكّن من التّحقّق من صحتها بسهولة.

- وما هي؟

- أعتقد أنّ ذلك المسكين ويليّام لم يصل إلى المنزل قبل دخول اللّص، بل وصل بعده. لكن أنت تعتبر أنّ اللّص لم يدخل المنزل مُطلقاً، رغم أنّ الباب قد تمّ خلعه.



أجاب السيد كيننغهام بحدة: أعتقد أن الأمر واضحٌ تماماً،
إذ أن ابني إليك لم يكن قد توجه إلى سريره بعد، وكان سيسمع
صوت أي شخص أو شيء يتحرك في المنزل بدون شك.

فسأل هولمز أليك: في أي مكان أو غرفة كنت عندما وقع الحادث؟

- كنت أدخّن في غرفة ملابسي.

- وأين نافذة تلك الغرفة؟

- إنّها الأخيرة إلى اليسار بجوار نافذة غرفة أبي.

- هل كانت الأنوار مضاءة في غرفتيكما؟

- بلا شك.

قال هولمز مُبتسماً: هناك الكثير من النقاط الغريبة في هذه القضية. فمن غير الطبيعي أو المألوف أن يقتحم لص يتمتع ولو ببعض الخبرة منزلاً يرى اثنتان من غرفه مضاءة فهذا يعني أن اثنين على الأقل مازالا مستيقظين في المنزل.

- لا بدّ أنّه لص بلا خبرة على الإطلاق.

عندها قال كيننغهام الشاب: حسناً إذن. لو لم تكن القضية تحوي كثيراً من الغرابة لما طلبنا مساعدتك. أمّا بشأن تصورك أنّ الرّجل سرق المنزل قبل أن يضبطه ويليام، أظن أنّه تصوّر غير معقول. أليس من المفترض في تلك

الحالة أن نجد المكان بحالة فوضى وأن نفتقد بعض الأشياء المرسوقة؟

- الأمر يعتمد على طبيعة تلك الأشياء. لا بد أن تضع في الحسبان أننا نتعامل مع شخص غريب الأطوار إلى درجة كبيرة، ويبدو أنه يعمل بطريقة مُعَيَّنَةٍ. لننظر مثلاً إلى مجموعة الأشياء الغريبة التي سرقها من منزل آكتون، ماذا كانت تلك المرسوقات؟ كتلة من الخيوط، وفتاحة رسائل ... وسواه الذي لا أذكره الآن.

فقال كيننغهام الأب: حسناً. نحن تحت تصرفك يا سيد هولمز. سنقوم بالتأكيد بتنفيذ أي شيء سوف تقترحه أنت أو المفتش.

قال هولمز: أولاً أريدك أن تعلن عن مكافأة للقبض على اللص القاتل منك شخصياً، لأن الموظفين سيطول بهم الوقت قبل الاتفاق على مبلغها فيما نحتاج السرعة. لقد دَوَّنتُ الصَّيْغة هنا، وأرجو منك توقيعها إن لم يكن لديك مانع، خمسون جنيهاً ستكون كافية على ما أظن. فقال كيننغهام الأب وهو يتناول القلم والورقة من هولمز:

أنا مُستعد لدفع خمسمائة جنيه مقابل معرفة القاتل. ثمَّ أضاف قائلاً عندما نظر إلى الورقة: ولكن هناك خطأ صغير في الورقة.

- لقد كتبتها على عجل.

- أترى هنا؟ لقد بدأت بالقول: «حيث أنه في الواحدة إلا ربع من صباح يوم الثلاثاء تمت محاولة اعتداء، ... إلخ» بينما حدث الأمر الساعة الثانية عشرة ليلاً في الواقع. أزعجني هذا الخطأ كثيراً، لأنِّي أعرف ما تُسبَّب مثل هذه الهفوات من مرارة هولمز، فواحدةٌ من أهم صفاته المميّزة الدقّة في أي أمر يتعلّق بالوقائع. يبدو أن مرضه الأخير قد أثّر فيه، وهذه الحادثة الصّغيرة كانت كافية لأعرف أنّه لم يعد إلى طبيعته بعد.

بدا هولمز مُحرّجاً للحظة فيما رفع المفتش حاجبيه متعجباً أمّا أليك كيننغهام فقد انفجر ضاحكاً. قام السيّد الكبير المحترم بتصحيح الخطأ، ثمَّ أعاد الورقة لهولمز قائلاً: «اطبعها بأقصى سرعة. أعتقد أنّ فكرتك ممتازة. وضع هولمز الورقة بعناية داخل جيب سترته، ثمَّ قال:

والآن سيكون من الجيد أن نفحص المنزل معاً لتتأكد من أن اللص العصبي لم يأخذ شيئاً معه في نهاية المطاف.

تفحص هولمز الباب الخلفي الذي كان قد خُلع قبل في الحادث. كان واضحاً أنه تمّ خلعه بمديّة كبيرة أو قطعة حديدية كبيرة. لقد استطعنا رؤية علامات واضحة حيث كانت الأداة الحادة تحشر لخلع الباب.

سأل هولمز قائلاً: ألا تستخدمون المزاليج؟

- لم نجد ضرورة لذلك.

- هل لديكم كلب في المنزل أو الحديقة؟

- نعم. لكنّه مُقيّد إلى الجانب الآخر من المنزل. ط

- متى يذهب الخدم للنوم؟

- نحو العاشرة ليلاً.

- هل هذا يعني أنّ ويليام يذهب للنوم في ذلك الوقت

أيضاً؟

- أجل.

- إنه لأمر غريبٌ إذن أن يبقى مستيقظاً في تلك الليلة

بالذات! والآن يسعدني جداً أن تقودنا بجولة في المنزل يا سيّد كيننغهام.

كان بالمنزل ردهة أرضية من الحجر، يتفرّع منها المطبخ حيث يوجد في نهايتها درجٌ خشبي يؤدّي مباشرةً إلى الطابق الأول من المنزل وينتهي عند المهبط المقابل لدرج أجمل وأكثر فخامة، يصعد إلى القاعة الأمامية، ومع هذا الممر تتّصل غرفة الاستقبال وعدة غرف أخرى للنوم، من بينها غرفتي السيد كيننغهام وابنه.

سار هولمز ببطء وهو يدقّق مرّكزاً على أسلوب بناء المنزل. أدركتُ من خلال التّعابير المرتسمة على وجهه، أنّه وجد دليلاً يسير خلفه، لكنّي لم أستطع أن أعرف أو حتّى تخيل الاتجاه الذي يمكن أن تقوده إليه استنتاجاته.

بعد حينٍ قال السيد كيننغهام بعد أن بدا أنّ صبره أخذ ينفذ: - سيدي العزيز. هذا ليس بالأمر الضّروري أي متابعة تفحّص المنزل، فهذا هي غرفتي أعلى الدّرج، وتليها غرفة ابني. أظنّك لا تعتقد أنّ اللّص تمكّن من الوصول إلى هنا دون أن نشعر به.

وقال الابن بابتسامة خبيثة على فمه: أظنُّ أنه عليك الاستسلام والبحث عن دليلٍ آخر.

- أرجو أن تسايروني بالأمر قليلاً، أريد أن أعرف القدر الذي ينكشف من المدخل عبر نوافذ غرفتيكما. هل تكشفه كله أم جزءاً منه. هل هذه غرفة ابنك؟

ثمَّ دفع الباب ليفتحه وهو يقول: وكما أعتقد فهذه هي غرفة الملابس التي كان يجلس فيها ويدخن حين سمعتم الإنذار. على أي مكان تُطل هذه الغرفة؟

عبر هولمز الغرفة ثمَّ فتح الباب وألقى نظرة سريعةً على الغرفة الأخرى. عندها قال السيد كيننغهام بشيءٍ من السخرية: أتمنّى أن تكون راضياً الآن.

- شكراً جزيلاً. أظنُّ أنني رأيت كل ما أردت رؤيته.

- يُمكننا تفحصُ غرفتي إذا كان هناك ضرورةٌ لذلك.

- أرجو ذلك إن لم يكن هناك أي إزعاج بالأمر.

هزَّ السيد كيننغهام كتفيه وتقدَّما نحو غرفته التي كانت مفروشة ببساطة، كأبي غرفة عادية في المنزل. وحين كنا نعبها باتجاه النَّافذة، تأخَّر هولمز عن المجموعة حتَّى

أصبح الجميع أماننا أنا وهو. رأيت بجوار السرير طاولةً عاليةً قليلاً عليها طبق يحوي برتقال وبجانبه إبريق ماء. لدهشتي الشديدة انحنى هولمز أمامي، وأوقع كل ما هو موجود على الطاولة عن عمد، فتحطّم الزجاج وتناثر، وتدحرجت البرتقالات في كل اتجاه.



صاح هولمز بصوت عالٍ: ماذا فعلت الآن يا واطسون؟! انظر إلى هذه الفوضى التي سببتها على السجادة. أدركتُ عندها أنَّ صديقي يريدني ولسبب أجهله أن أتحمل مسؤولية ما حدث، فانحنيتُ مرتبكاً لألتقط البرتقال.

كذلك فعل الآخرون وأعادوا الطُّبق إلى مكانه. ثمَّ سأل المفتِّش بدهشة قائلاً: أين ذهب هولمز؟! لقد اختفى هولمز!

فقال الشَّابُّ أليك كيننغهام بتوتُّر: انتظروا هنا للحظة. لا بدَّ أنَّ هذا الرَّجل فقد صوابه. تعال معي يا أبي لنرى أين قد ذهب.

وأسرع الرَّجلان خارج الغرفة، فيما بقيتُ مع المفتِّش داخلها ينظر أحدهما إلى الآخر بدهشة. بعد ذلك قال المفتِّش: أنا مضطَّرُّ إلى موافقة السيد أليك الرأي، فقد يكون هذا نتيجة مرض السيد هولمز، لكن يبدو لي أنَّ...

وفجأة سمعنا صرخةً مباغتةً تقول: النِّجدة! النِّجدة.. أنقذوني!



أدركتُ على الفور أنَّ هذا صوت صديقي، فاندفعتُ بدون تفكيرٍ خارج الغرفة باتجاه الصوت المبحوح الذي يتردد في أرجاء المنزل. كان الصَّوت قادماً من الغرفة التي

دخلناها أول الأمر، فأسرعتُ بدخولها وعبرتها باتجاه غرفة الملابس لأرى الأب وابنه فوق جسد شارلوك هولمز المستلقي على الأرض. كان الابن يضغط بيديه على رقبة هولمز، فيما بدا الأب وكأنه يحاول أن يلوي معصمه. وفي لحظة قمنا أنا والمفتش والكولونيل بإبعادهما عنه.

وقف هولمز مترنحاً ووجهه شاحبٌ جداً، وبدا أنه مرهقٌ جداً ثم قال للمفتش: «اقبض على هذين أيها المفتش!

- وما هي التهمة الموجهة لهما؟

- بتهمة قتل السائس ويليام كيرون.

حدّق المفتش فيه بذهولٍ، ثم قال في نهاية المطاف: آه! بالله عليك يا سيد هولمز. أنا متأكد بأنك لا تعني حقاً...

فصرخ هولمز بنبرة حاسمة: ألا ترى وجهيهما يا رجل؟!!!

لم يحدث قط أن رأيتُ هذا الاعتراف الواضح بالذنب على وجه إنسان، فقد بدا العجوز مذهولاً فاقداً للحس، وقد طغت على وجهه تعابير التّجهّم الشّدِيد المُكَلِّلة

بالذنب. أمّا الابن فقد رأيتُ في عينيه شراسةً وحشٍ خطير، وتشوّهت ملامحه اللطيفة حين سقط عن وجهه قناع الزهو والمرح الذي كان يميّز شخصيته.

لم ينبس المفتش ببت شفة، بل اتّجه نحو الباب وأطلق صفارة، ليأتي اثنان من الشرطة تلبيةً لندائه. عندها قال: ليس بيدي حيلة يا سيد كيننغهام. لكنّي واثقٌ من أنّ هناك خطأً سخيفاً ما، ولكنك تستطيع أن تقدّر... آه، دع هذا من يدك!

ثمّ وجّه إلى آليك ضربة قويّة أوقعت المسدس الذي كان الشاب كيننغهام يستعد لإطلاق النار به. سقط المسدس على الأرض، فوضع هولمز قدمه فوقه بهدوءٍ وقال للمفتّش: احتفظ به. سوف يفيدك في المحكمة. لكن هذه هي ما نحتاجه حقّاً.

ورفع هولمز قطعةً صغيرةً من الورق المجعّد. عندها هتف المفتش قائلاً: بقية قصاصة الورق؟! - بالضبط.

- وأين وجدتها؟

- حيث كنت متأكدًا أنها موجودة. سأوضح لك الأمر لاحقاً. أعتقد يا كولونيل أنه يتوجبُ عليك العودة أنت وواطسون الآن. سأوافيكم خلال ساعة على أبعد تقدير، فأنا والمفتش يجب أن نتحدث مع المتهمين الأب وابنه، وسأنضم حتماً إليكم على مائدة الغداء.

وصل هولمز في موعده بالضبط في الواحدة ظهراً على الغداء. جاء بصحبته رجل عجوز، تبدو عليه علامات الاحترام، وقدم نفسه لي على أنه السيد أكتون، الذي حدثت السرقة الأولى في منزله.

قال هولمز: أردتُ أن يكون السيد أكتون حاضراً عندما أوضح لكم أمراً بسيطاً، لأنَّ هذه التفاصيل تهمه. أخشى يا عزيزي الكولونيل أن لا تكون قد ندمت على استضافة شخص مثلي، ما أن يظهر حتى تبدأ المشاكل بالظهور معه.

أجاب الكولونيل بود: على العكس. أعتبر استضافتك امتيازاً كبيراً يسمح لي بالإطلاع على أساليب عملك. وأريد أن أعترف لك بأنك كنت أفضل من كل توقعاتي، وأنتي غير

قادر أبداً على تفسير ما حدث منطقياً. أنا لم أرى أي دليل!

- أخشى أن تفسيرى قد يخيب ظنك، لكنني لست معتاداً على إخفاء أي من أساليب عملي عن واطسون أو أي أحد آخر مهم. دعني أطلب أولاً فنجان شاي، لأنني ما زلت متأثراً بالعنف الذي تعرضتُ له في غرفة الملابس. صحتي ليست على ما يرام مؤخراً كما تعلم.

- أرجو ألا تكون قد تعرضت لمزيد من النوبات العصبية؟

ضحك هولمز بقوة وقال: ستتحدثُ عن هذا الأمر في وقته لأنني سأروي لكم القصة بالترتيب، حتى تتمكنوا من رؤية النقاط المختلفة التي قادتني إلى القرار. أرجو أن تقاطعوني إذا شعرتُم أن أي من استنتاجاتي ليس واضحاً بما يكفي.

من الأهمية بمكان في فن الاستنتاج أن تتمكن من تمييز الحقائق الجوهرية الحيوية، من تلك التي وقعت بالمصادفة، فهذه الأخيرة تُشتت انتباهك وطاقتك، بدلاً من التركيز على ما هو مهم. وها أنا ذا أكرّر لكم الآن أن مفتاح حل القضية كان موجوداً في قصاصة الورق التي وجدناها بين

أصابع يد القتيل.

قبل التّطرق إلى ذلك، أرجو أن ألفت انتباهكم إلى أمر لو كانت رواية كيننغهام صحيحة بأنّ المهاجم أو اللصّ قد فرّ بعد أن قتل ويليام كيرون مباشرة، فمن الواضح إذن أنّه ما كان باستطاعته انتزاع الورقة من يد ويليام.

وإذا لم يكن هو من فعل ذلك فلا بدّ أنّ آليك من قام بانتزاعها. إذ أنّ الأب عندما نزل إلى مكان حدوث الجريمة كان قد سبقه إلى هناك عددٌ من الخدم.

والأمر هنا أصبح بسيطاً، لكنّ المفتّش أغفله لأنّه بدّ التّحقيق على أساس افتراض أنّ هذين الرّجلين الشّهيرين خارج دائرة الاتّهام أو الشّك.

وبهذه المناسبة أود أن أوّكد لكم على حقيقة مهمّة جداً لا ينبغي أن يتبنّى أيّ منا أحكاماً مسبقة، بل يجب تتبّع مسار الحقيقة بغض النّظر إلى أين يقودنا.

عبر القيام بذلك، فقد وجدتُ في المرحلة الأولى من التّحقيق أنّني أنظر بارتياح إلى الدّور الذي لعبه آليك كيننغهام.

وهكذا قمت بإجراء فحص دقيق جداً لقصاصة
لورقة التي قدّمها لنا المفتّش، فأدركتُ على الفور أنّها
نهمّة جداً. ها هي ... ألا تُلاحظون أمراً ذا دلالة خاصّة
بيها؟

أجاب الكولونيل: إنّ شكلها غريب.



فصاح هولمز: سيدي العزيز. لقد كتبها شخصان وليس واحد بدون شك. لقد تبادل الشخصان كتابة الكلمات، وأطلب منكم مقارنتها بنفس الحروف في بعض الكلمات وأطلب منكم مقارنتها بنفس الحروف في كلمات أخرى. عندما تفعلون ذلك ستدركون هذه الحقيقة على الفور. إنَّ تحليلاً بسيطاً جداً لهذه الكلمات سيمكِّنكم أن تقولوا بثقة تامة أن بعضها مكتوب بيدٍ قويَّة، فيما البعض الآخر بيدٍ ضعيفة.



صاح الكولونيل: يا إلهي! إنَّ الأمر واضحٌ تماماً! لكن لماذا يكتب شخصان خطاباً كهذا بهذه الطريقة؟!

- الأمر سيء كما يبدو. يُمكن أن يكون أحد الشخصين ليس على ثقةٍ بالآخر. لذلك فقد قرّر أن يكون نصيبهما في كل ما يحدث متساوياً، ومن الواضح أنّ صاحب الخط القوي هو الزعيم أو الرئيس بينهما.

- وكيف عرفت ذلك؟

- من السهل استنتاج ذلك بمجرد مقارنة خصائص خط أحدهما مع الآخر. كما أنّ لديّ أسباباً أخرى تؤكّد افتراضاتي. فلو تفحصتم قصاصة الورق بعناية سوف تدركون أنّ صاحب الخط الحاد قد كتب كل كلماته قبل الآخر، وترك له مجالاً أو فراغات بين الكلمات ليكتب الآخر فيها، لكنّ الفراغات لم تكن كافية في كل الرسالة، لذلك يمكنكم رؤية أنّ الرجل الثاني قد اضطرّ إلى ضغط إحدى الكلمات لتناسب مع حجم الفراغ.

هتف أكتون: ممتاز!

وتابع هولمز: الآن وبعد أن وصلنا إلى نقطةٍ مهمّةٍ؛ ربما أنتم لا تعرفون حقيقة أنّ معرفة سن الشخص من خط يده قد أثبت الخبراء دقّته الكبيرة. وفي القضايا العادية

يستطيع المرء معرفة سن شخص ما بدقّة مقبولة أو بشكلٍ تقريبي. أقول أنّ هذا ممكن في القضايا العادية، لأنّ الصّحة السيّئة والضعف الجسدي قد يؤديان إلى ظهور علامات التّقدم في السن حتى لو كان المريض شاباً. في هذه القضية حين تنظر إلى الخط الحاد القاسي لأحد الشّخصين وإلى الشّكل المكسور الضّعيف للخط الآخر، وإن كان يحتفظ ببعض وضوحه لأنّ بعض الحروف بدأت تفقد شكلها، لأنّها لم تُكتب بضغطٍ كبيرٍ على الورقة بالقلم. أخيراً وبناءً على ما تقدّم نستطيع القول أنّ أحدهما شاب والآخر مسن، لكنّه ما زال محتفظاً بقوّته.

فصاح السيد آكتون مرة ثانية: ممتاز.

- هناك نقطة أخرى وهي على درجة كبيرة من الأهمية إضافة إلى أنّها دقيقة. إنّ بين الخطّين صفات مشتركة. إنّهما لرجلين تربطهما صلة قرابة. وقد يكون هذا التّشابه واضحاً لكم من خلال شكل بعض الحروف، أمّا بالنّسبة لي فتوجد الكثير من النّقاط البسيطة التي تؤكّد هذا التّشابه. ليس لدي أدنى شك في أنّه يمكننا الاستدلال على

أسلوب العائلة الخاص بهذا النوع من الخط. وها هي النتائج الرئيسية فقط لفحص الورقة، حيث يمكنني أن أجد فيها ثلاث وعشرين إشارة أو دليل آخر أثار اهتمام الخبراء، وكلها تؤكد لي أن كيننغهام الأب والابن هما من كتبها هذه الورقة. الخطوة التالية التي اتخذتها بعد أن وصلت إلى هذه المرحلة كانت؛ أن أدرس تفاصيل حدوث الجريمة ومسرحها، لأرى إن كانت ستساعد في شيء. فذهبتُ إلى المنزل مع المفتش، وتفحصتُ جثمان القتيل ورأيت كل ما تمكّنت من الوصول إليه في مسرح الجريمة. كنتُ متأكّداً أن إصابة القتيل نجمت عن إطلاق النار عليه من مسافة قريبة بحدود الثلاثة أمتار على الأقل، لأنّي لم أجد أي أثر للبارود على ثيابه.

وفي هذه الحالة فإنّ أليك كيننغهام كان يكذب عندما قال أنّها كانا يتعاركان عندما انطلقت الرصاصة وقتلت ويليام. ومرة أخرى تطابقت أقوال الأب مع الابن على مكان هروب الجاني. وبما أنّنا لم نجد أي آثار للأقدام في المنطقة المحاذية للخندق خلف السور وهو ترابي فقد

تأكَّدْتُ من كذبهما معاً. كما تأكَّدْتُ أنَّه لم يدخل أي أحد غريب إلى المنزل.



في هذه الحالة أصبح يتوجَّب عليَّ البحث عن الدَّافع للجريمة. وحتَّى أعرف ذلك عملت على معرفة سبب حادثة السَّطو الأولى في منزل السيد آكتون. وكما فهمت من الكولونيل فقد كان هناك خلاف وقضية في المحكمة بينك يا سيد آكتون وبين آل كيننغهام منذ سنوات، وكان

أول ما خطر لي هو أنني اقتحما مكتبة منزلك لسرقه وثيقة هامة متعلقة بالقضية.

فقال السيد أكتون: هذا صحيح تماماً. لا شك في نواياهما، فأنا أملك الحق بنصف مزرعة كيننغهام، ولو استطاعا العثور على ورقة محددة، - كانت محفوظة لحسن الحظ في خزانة المحامي الذي يمثلني -، لكانا تمكنا من الفوز بالقضية.

عندها قال هولمز مبتسماً: الآن فهمت. بالطبع كانت محاولة متهورة وخطيرة، يمكنني أن أرى بصمات الشاب كيننغهام واضحة فيها. وعندما لم يجد شيئاً، حاول تحويل الأمر إلى جريمة سرقة عادية فأخذ أي شيء استطاع الوصول إليه. كان الأمر واضحاً، لكن بقيت بضع نقاط غامضة. كان أكثر شيء رغبتُ به هو الحصول على الجزء المفقود من الرسالة، وكنت متأكداً أن أليك قد انتزعها من يد ويليام، كما كنت متأكداً أنني سأجدها في ثياب نومه، لأنه كان بثياب النوم عندما وقعت الحادثة. وكان السؤال الوحيد في بالي هل ما زالت الورقة في جيب ثوب نومه؟ وكان الأمر يستحق المحاولة، لذلك ذهبنا إلى هناك جميعاً.

وانضمَّ إلينا الأب والابن كما تذكرون، فيما كنا خارج باب المطبخ. كان من المهم جداً عدم ذكر الورقة أمامهما، وإلا حاولا إتلافها فوراً. لذلك مثلتُ دور المتعب وأُتي أُصِبتُ بنوبةٍ عندما حاول المفتش إخبارهما بشأن الورقة لكي أُشَتَّت انتباههما وأُغيّر الموضوع.

عندها صاح الكولونيل ضاحكاً: هل هذا يعني أنَّ كل تعاطفنا معك قد ذهب أدراج الريح، وأنَّ نوبتك كانت مزيفة؟

فهمتُ وأنا أنظر بذهولٍ إلى ذلك الشخص الذي يُحيرني دوماً بجديده في أساليب الدَّهاء: أو كُذلك وهذا من وجهة نظر طبيَّة، أنَّك قمتَ بعملٍ متقنٍ يستحق أعلى درجات الإعجاب!

فأجاب: إِنَّهُ فَنٌّ مفيدٌ!

وبعد أن استعدتُ وعيي تمكَّنتُ من جعل العجوز كيننغهام يكتب الرِّقم اثني عشر بحيلةٍ أخرى فيها شيءٌ من الإبداع، وبذلك تمكَّنتُ من مقارنة خطِّه بذلك الموجود على قصاصة الورق.

عَلَّقْتُ قَائِلًا: آه كم كنتُ غيباً!

فقال هولمز ضاحكاً: لقد شعرتُ بأنَّكَ كنتَ تشعرُ
بالأسى لحالي بسبب مرضي، وكنتُ آسفاً على الألم الذي
سبَّبه لك! بعد أن صعدنا إلى الطَّابق العلوي معاً، ثمَّ
دخلنا الغرفة رأيتُ ثوب النوم معلقاً خلف الباب،
فخطَّطْتُ لقلب الطاولة حتَّى أَشَتَّ انتباههم لبرهة تُتيح
لي التَّسلُّل عائداً لثوب النوم بحثاً عن الجزء الآخر من
قصاصة الورق.

وبالفعل حصلتُ على الورقة ووجدتها في أحد جيوب
الثَّوب كما توقعت، لكن حينها انقضَّ عليَّ الأب والابن
وكادا أن يقتلاني لولا نجدتكم السريعة.

لا زلتُ أشعرُ بقوة قبضة ذلك الشَّاب على رقبتني حتَّى
الآن، فيما أبوه يحاول لويَّ معصمي ليحصل على الورقة.

فقد أدركا أنَّي أصبحتُ على معرفة بكل شيء. وكان
هذا التَّحوُّل المفاجئ من الإحساس بالأمان التَّام إلى
الخوف الشَّدِيد هو ما دفعهما إلى الوحشية والاستماتة في
الدِّفاع عن نفسيهما.

تحدثت لبضع الوقت مع كيننغهام الأب لمعرفة دوافع الجريمة وكان مُستسلماً، بعكس ابنه الذي كان الشيطان بحد ذاته.

فقد كان مستعداً لأن يقتل أي شخص لو تمكّن من الوصول إلى مُسدسه! وحين عرف الأب أنّ القضية ضده مُحكّمة ولا يمكنه الإفلات من العقاب انهارت قواه واعترف بكل شيء. يبدو أنّ ويليام كان قد تبع سَيِّدِيهِ سرّاً في الليلة التي هاجم فيها منزل السيد آكتون، وبذلك بدأ يبتزهما ويهدّدهما بفضح أمرهما، لكن السَّيد آليك كان شخصاً على درجة كبيرة من الخطورة والإجرام، ولا يمكن اللُّجوء إلى هكذا ألعاب معه.

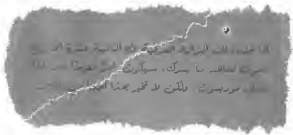
لقد كانت حركة عبقرية منه أن يُفكّر باستغلال الدُّعر الذي عمّ هذه المنطقة الريفية بسبب عمليّة السَّطو الأولى ليتخلَّص بشكلٍ لا يُثير الشُّك من الشَّخص الذي يبتزه.

وهكذا نصب الفخ هو ووالده للمسكين ويليام وقتلاه، ولو أنّهما أخذوا الورقة كاملةً من بين أصابعه وانتبها إلى بعض التَّفاصيل الصَّغيرة لكان من الممكن تماماً أن ينجوا

بفعلتها ويكونا خارج دائرة الشك.

قلت: وماذا عن الرسالة القصيرة؟

وضع هولمز جُزئي الرسالة بجانب بعضهما، فقرأنا الرسالة كاملةً على هذا الشكل:



ثمَّ قال: إنها كما توقَّعت بالضبط، وبالطبع لا نعرف بعد ما هي علاقة آليك كيننغهام وويليام كيرون وآني موريسون، لكن النتيجة تظهر أنَّ الفخ قد نُصب بمهارة وحقَّق النتيجة المرجوة.

أنا متأكَّد يا واطسون أنَّك مسرورٌ بظهور آثار للوراثة في طريقة كتابة الحروف التي كتبها الأب والابن، وهذا يبدو جلياً في حروف مثل الباء والجيم. كما أنَّ غياب بعض النقاط عن الحروف من الصِّفات المميِّزة لخط العجوز.

حسناً يبدو لي أنَّ فترة النِّقاهاة التي قضيناها في الريف أتت
بفائدةٍ وكانت ناجحة تماماً.

غداً سأعود إلى شارع بيكر وأنا بكامل قوَّتي ونشاطي..

• انتهى •